﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ ۝٥﴾ [ق: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من فظاعةِ إنكارِ خصوصِ البعثِ إلى إنكارِ جملةِ الحقِّ

بعد أن ذكرت الآيات السابقة تعجُّبَ المشركين من خبر البعث الذي جاءهم به الرسولُ ﷺ؛ ناسب أن يُذكر ما هو أفظع من تَعَجُّبِهم، وهو التَّكذيب بالحقِّ - الذي هو القرآن - في أوَّل وهلةٍ، من غير تفكُّر ولا تدبُّر[1].

وفي الآية السابقة دحضُ فريةِ الكفّار بإنكار البعث، ببيان إحاطة علم الله تعالى بما تنقص الأرض من أجسادهم، وإثبات ذلك في كتاب حفيظ، فناسب أن ينتقل النظم إلى بيان أمرٍ هو أشنع وأفظع من إنكارهم البعث، وفي الوقت نفسه هو السبب الباعث لهم على رفض الإيمان بالبعث وإنكاره، ألا وهو: تكذيبهم للقرآن ولنبوَّة محمَّد ﷺ، الثابتةِ بالمعجزات الباهرات[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: (حقق) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إحْكامِ الشَّيْءِ وصِحَّته، وهو نَقيضُ الباطِلِ[3]، ويُقال: الحقُّ للفعل والقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: 33]، وقال: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المؤمنون: 71][4]، والمراد به هنا: القرآن الذي أُنزِل على محمَّدٍ ﷺ خاتمِ الأنبياء، والذي فيه خبرُ البعث والجزاء.

2) ﴿مَّرِيجٖ﴾: (مرج) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَجيءٍ وذَهابٍ واضْطِرابٍ،

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 380.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 126، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 333.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (حق).

يُقال: مَرِجَ الخاتَمُ في الإصْبَعِ، أي: قَلِقَ، ومَرِجَت أماناتُ القَومِ وعُهودُهُم، أي: اضطَرَبَت، واختَلَطَت، وقياسُ البابِ كُلّه مِنهُ، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩﴾ [الرحمن: 19]، وقال: ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ﴾[1]، أي: مضطرِبٍ لا قرارَ له[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المكذِّبُ بالقرآن في قلقٍ دائمٍ واضطرابٍ مستمرٍّ

تبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ الكافرين لم يكتَفوا بإنكارهم للبعث، بل جاؤوا بما هو أشنعُ وأفظع منه، وهو تكذيبهم لنبوَّة الرَّسول، الثابتةِ بالمعجزات الناصعة، ومن مظاهرِ هذا التكذيب: أنَّهم تارةً يصفونه بالسّاحر، وتارةً بالكاهن، وتارةً بالجنون، فهُم مضطربون، مختلطون، لا يثبتون على حال واحد، ولا يستقرّون على تهمةٍ واحدة[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى ﴿بَلۡ﴾ ودلالتُها:

لفت الانتباه إلى الأفظعِ في التَّكذيب بعد ذكر تكذيب البعث

آثر النظم الكريم استعمال حرف الإضراب، في قول الله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ ليلفت النظر، ويجذب الانتباه إلى السَّبب الحقيقيِّ الذي دفع الكافرين إلى التعجُّب من خبر البعث، الذي أنذرهم به رسول الله ﷺ، فهو "إضرابٌ ثانٍ تابعٌ للإضراب الذي في قوله: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾، على طريقة تكرير الجملة في مقام التنديد والإبطال، أو بدلٌ من جملة: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾؛ لأنَّ ذلك العجَبَ مشتمِلٌ على التكذيب، والمقصد من هذه الجملة لَفْتُ الانتباه إلى أنَّهم أتوا بأفظعَ من إحالتهم البعث، وهو التكذيبُ بالحقِّ"[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مرج).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 126.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 380، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 334.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 284.

دلالة التَّعبيرِ بصيغة التكذيب:

جاء التَّعبير بصيغة التَّكذيب في قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ﴾؛ للدلالة على إبلاغهم في التكذيب، ورفضِهمُ العدولَ عنه، على الرغم من أنَّ النبي ﷺ جاءهم بالمُعجِزات القاطعات بصدق رسالته، وأُسند إلى ضمير الجمع؛ للدَّلالة على أنَّهم فعلوا ذلك جميعًا، بلسان المقال أو بلسان الحال.

إبـلاغُ المشركين في تكذيبِ الحقِّ

معنى تعريفِ الحقِّ:

التَّعريفُ بـ(أل) في لفظ الحَقِّ من قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ﴾ هو للعهد، فهو الحقُّ الذي جاءهم به الرسول ﷺ من القرآن والبعث والرسالة والدين[1]، وعلى الرغم من معرفتهم أنَّه حقٌّ لا شبهةَ فيه، وأنَّه أمرٌ ثابت لا أثبتَ منه[2]، وصوابٌ لا خطأ معه: إلّا أنَّهم كذَّبوا به.

تكذيبُهم الحقَّ يـدلُّ على خُبثِ نـيّـات أهـلِ الباطلِ

دلالةُ التَّقييد بالظَّرفيَّة:

﴿لَمَّا﴾ في قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ حينيَّةٌ ظرفيَّةٌ، دالَّةٌ على حصول التَّكذيب بمجرَّد الإعلام بالرِّسالة، والإنذار بالبعث، والمعنى أنَّهم بادروا بالتكذيب دون تأمُّلٍ ولا نظرٍ فيما حواه من الحقِّ، بل كذَّبوا به من أوَّل وهلةٍ[3].

بمجـرَّدِ مجيءِ الـحـقِّ تـقـعُ المـسـارعـةُ إلى التكذيبِ

بلاغة استعمال الفعلِ ﴿جَآءَهُمْ﴾:

جاء استعمال فعل المجيء الموضوع؛ للإتيان بصعوبة في قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه مجيءٌ له خَطَرُه وشأنُه؛ نظرًا لِما يترتَّب عليه من إلزامهمُ الحُجَّة، وإقامةِ الدليل الدامغ على كفرهم وتكذيبهم، وأوثِر التعبيرُ به ماضيًا؛ للدَّلالة على حصوله حصولًا أكيدًا لا شكَّ فيه، ولا ريبَ معه، وفي

مـجـيءُ الـنَّـبـيِّ بالقرآن تهديدٌ لكيانِ كلِّ مشركٍ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 530.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 406.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 284.

وصل ضمير الكُفّار به دلالةٌ على أنَّ اختصاصَهم بإرسال الرسول، وإنذارِه لهم بالبعث: فيه خوفٌ شديدٌ عليهم، وحرصٌ كبيرٌ على نجاتهم من العذاب المترتِّب على غفلتهم وكفرهم.

معنى الفاءِ ودلالتُها:

اضطرابُ كلامِ المشركين فرعٌ عن التَّكذيب

الفاء في أوَّل قول الله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٖ مَّرِيجٖ﴾ للتفريع، فمبادرتُهم إلى التكذيب من غيرِ فكرٍ ولا إنعامِ نظرٍ ولا رويَّةٍ نشأ عنها اضطرابُ حالِهم[1]، وتذبذبُ كلامِهم في الرسول، وعدمُ إجماعهم على تهمةٍ يتَّهمونه بها، فكان لكلِّ تهمةٍ يتَّهمه بها بعضُهم مَنْ يرفُضُها منهم، ويُنكر وجودَها فيه، فلَزِم من نفسِ مُروجِهم ذلك براءتُه ﷺ من التُّهَمِ كُلِّها، وثبوتُ صدقه وصدق رسالته.

نكتةُ مجيءِ المُسنَدِ إليه ضميرًا:

اجتماعُ المشركين في كونِهم في أمرٍ مريج

عبَّر النَّظم عن المسند إليه في الجملة المفرَّعَة: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٖ مَّرِيجٖ﴾ بالضَّمير الغائب (هُم)؛ قاصدًا به الكافرين الذين سبق ذكرُهم في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾؛ جريًا على الأصل في التَّعبير عن الاسم الظّاهر الذي سبق ذكرُه بالضَّمير، من أجْلِ تعيين المقصود بما يحول دون صرف الكلام عنه إلى أحدٍ آخر، والمعنى: فالذين كفروا في أمرٍ مريجٍ، يُزاد على ذلك أنَّ التعبير بضمير الغياب أكثرُ اتِّساقًا مع ما يستحقّونه من الإهانة والازدراء، والدَّعوة إلى عدم الاكتراث بكلامهم.

بلاغةُ الاستعارةِ في الظَّرفيَّة:

الاضطرابُ يحيطُ بالمشركين إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروف

التعبير في قول الله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٖ مَّرِيجٖ﴾ بلفظِ الأمر مسبوقًا بالحرف المفيد للظرفيَّة، فيه استعارةٌ تبعيَّة، شُبِّهت فيها حالُ المَرَجِ والاضطرابِ التي يعيشها المشركون، ويتلبَّسون بها في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 284.

شأن الرسول، وما أنذرهم به، بحال المظروف داخلَ الظرف[1]، بجامع الإحاطة، ثمَّ استُعير المشبَّهُ به للمشبَّه بعد تناسي التشبيه، وادِّعاءِ أنَّ المشبَّهَ فردٌ من أفراد المشبَّهِ به؛ لتصوير مدى وُلوجِهم في الاضطراب، وإبرازِ مدى سَيطَرَتِه عليهم.

بلاغةُ الاستعارةِ في الوَصفِ بالمُروج:

جاء وصفُ أمرِ الكافرين في قول الله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ بالمُروج، الموضوعِ لاختلاطِ الدَّوابِّ في الأرض الواسعة ذات النَّبات[2]، للدَّلالة على اختلاف رأي الكفّار واضطرابه في الرَّسول والوحيِ المنزَّل عليه، وهذا التَّعبيرُ فيه استعارةٌ تصريحيَّة، شُبِّه فيها اضطرابُ الرأي باختلاط الدوابِّ، بجامعِ التخبُّط وفقدان الاتِّجاه، ثمَّ استُعير المشبَّهُ به للمشبَّه بعد تناسي التشبيه؛ لتصوير حال التَّذَبذُبِ والتّيهِ التي يعيشها المشركون إزاءَ ما بُعث به الرسولُ من الوحي والإنذار.

تصويرُ حالِ المشركين إزاءَ ما بُعث به الرسولُ وأنذَرَهم به

دلالةُ وصفِ المُبالَغة:

أوثِر وصف الأمر بالمَريج في قول الله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ بصيغة المبالغة؛ للدلالة على شِدَّة اضطرابهم، وقوَّة اختلافهم، فَهُم تارةً يقولون: سحر، وتارةً: كهانة، وتارةً: شعر، وتارةً: كَذِب، وتارةً: غير ذلك، والقصد من وصفِ أمرهم به: بيانُ أنَّ الاضطرابَ موجِبٌ للاختلاف، وذلك أدلُّ دليلٍ على الإبطال، كما أنَّ الثبات والخلوص موجبٌ للاتِّفاق، وهو أدلُّ دليلٍ على الحقّيَّة، فما ترك قومٌ الحقَّ إلّا مرج أمرُهم، والتبس عليهم دينُهم[3].

اضطرابُ أمرِ المشركين دليلُ براءةِ الرَّسول

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 284.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (مرج).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 406.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"